

مؤسسة ثقافية تساهم في تنبيه النشء والأجيال الجديدة لأسباب اندلاع الحرب العالمية الثانية، ودور الولايات المتحدة الكبير في تغيير مجرياتها، فضلاً عن توعيتهم بخطورة الحروب وتكاليفها الضخمة على البشرية، ولقد بُني المتحف على طراز متقدم يجمع ما بين العرض المتحفي التقليدي، وبين استخدام التكنولوجيا والوسائل التفاعلية، حيث يعرض المتحف بين جنباته ما يزيد على 250 ألف قطعة تعود إلى فترة الحرب، بعضها ضخم مثل النماذج الحقيقية للطائرات والدبابات، وبعضها صغير مثل رسائل البريد والصور والملابس والمعدات الشخصية الخاصة بالجنود. وإلى جانب ذلك يمتلك المتحف مجموعة من المعارض التفاعلية التي تحاكي بيئات القتال المختلفة التي تواجد فيها الجنود الأمريكيون أثناء الفترة بين عامي 1941م و1945م على ساحات أوروبا وأفريقيا وآسيا وحتى في مياه البحار والمحيطات (انظر مجموعة الصور التالية).

مجموعة صور: مقتنيات معارض المتحف الوطني بمدينة نيو أورليانز الأمريكية للحرب العالمية الثانية



المصدر: الموقع الرسمي لمتحف الحرب العالمية الثانية The National WWII Museum

ملاحظة: من الأعلى يميناً صورة لمعرض Desert War – North Africa، ومن الأعلى يساراً صورة لمعرض Italian Campaign، ومن الأسفل يميناً صورة لمعرض Northwestern Europe، ومن الأسفل يساراً صورة لمعرض Battle of the Bulge.

ويحرص المتحف بين حين وآخر على استضافة الأحداث الثقافية المختلفة التي تتعلق بتاريخ الحرب العالمية الثانية، مثل عقد اللقاءات والمحاضرات لشرح الأحداث التاريخية، وتنفيذ ورش العمل التفاعلية للكبار والأطفال، بالإضافة إلى عقد الحفلات الفنية الاستعراضية والغنائية التي تحاكي ما كان يتم عرضه أيام الحرب العالمية الثانية، وأيضاً عرض الأفلام السينمائية التي تنتمي لتلك الحقبة. وتسهم تلك الأحداث إجمالاً في جذب ما يفوق على 700 ألف زائر سنوياً، وهو ما دعم الأرباح السياحية لولاية لويزيانا الأمريكية خلال الفترة من 2000 إلى 2018 بواقع 1.38 مليار دولار، فضلاً عن توفير 473 فرصة عمل مباشرة وغير مباشرة لأبناء الولاية.

قائلًا: "قبل العلمين لم نحظ بأي انتصار، وبعد العلمين لم نشهد أي هزيمة".

ورغمًا عن تلك الأهمية الاستثنائية التي تحظى بها معركة العلمين في كتب التاريخ، فضلاً عن باقي المعارك التي دارت رحاها بين الطرفين على أرض مصر، إلا أن تلك الأخيرة لم تنجح في الاستفادة من تراث معارك الشمال الأفريقي العسكرية بالشكل الأمثل على المستويين الثقافي والسياحي، وذلك أسوة بكافة الدول الغربية التي تستغل ذكرى المعارك الكبرى التي وقعت على أرضها أو التي شاركت فيها، لإبراز دورها في مجريات الحرب العالمية الثانية، تلك الحرب التي كانت سبباً أساسياً في تشكيل عالما المعاصر بنظاميه السياسي والاقتصادي.

نماذج عالمية في الاستفادة من إرث الحرب العالمية الثانية

يوجد في العالم الآلاف من المواقع التراثية العسكرية، التي تعود فترة إنشائها أو استخدامها إلى الحرب العالمية الثانية، بالإضافة إلى المئات من المتاحف الأثرية التي تخلد وقائع تلك الحرب، ولا يقتصر دور تلك المتاحف على عرض الإرث العسكري فقط، بل أصبحت تُطور من أسلوب عملها خلال العقود الأخيرة كي تتناول الجوانب الإنسانية للحرب، كمعاناة المدنيين أثناء اشتعال العمليات العسكرية، وضحايا معسكرات الاعتقال والتعذيب، وحتى الحياة الشخصية لمختلف الجنود البسطاء على جبهات القتال. وفي الفقرات التالية عرض لاثنتين من الأمثلة الدولية لتلك المتاحف والمواقع التراثية المرتبطة بذكرى الحرب:

المتحف الوطني للحرب العالمية الثانية بولاية نيو أورليانز الأمريكية

شيدت الولايات المتحدة الأمريكية هذا المتحف في عام 2000م، وذلك لكي يكون

في دعم النشاط السياحي بإقليم النورماندي، من خلال تنظيم احتفال سنوي ضخم لاستحضار ذاكرة عملية الإنزال والمعارك الحربية المصاحبة لها، بعمل محاكاة وعروض حية مماثلة Reenactment للاشتباكات التي دارت في منتصف عام 1944م، كما يتم عمل مسيرات لحرس الشرف وعروض للموسيقى العسكرية التابعة للدول التي شاركت قواتها من قبل في تلك العملية، وتنتج الدولة الفرنسية من خلال تلك المجهودات في جذب ما يفوق على 5 ملايين سائح سنويًا لمنطقة النورماندي وحدها، وهو ما يقارب 6% من جملة السائحين الزائرين لفرنسا سنويًا.

مجموعة صور: الأنشطة والفاعليات التي يتم تنفيذها في يوم ذكرى يوم الإنزال D-Day



المصدر: الموقع الرسمي للترويج للسياحة في إقليم نورماندي normandie-tourisme.fr

ملاحظة: من الأعلى يمينًا صورة لإعادة تمثيل أحد الاشتباكات التي دارت وقت العملية، ومن الأعلى يسارًا صورة لأحد العروض الجوية التي تنفذها القوات الجوية الفرنسية، ومن الأسفل يمينًا صورة لعرض استعراضى يحاكي مثيلاتها زمن الحرب، ومن الأسفل يسارًا صورة لإحدى المسيرات التي يشارك فيها الهواة بمركبات واليات مماثلة لما تم استخدامه في وقت إنزال نورماندي.

إرث مصر من معارك شمال أفريقيا

تُعتبر جمهورية مصر العربية الدولة الأكثر ثراءً بإرث صراع قوي المحور والحلفاء على ساحل شمال أفريقيا، حيث دارت على الأرض المصرية ما مجموعه 38 معركة من أهم وأشهر المعارك خلال تلك الفترة، ولقد تسبب ذلك في سقوط الجنود الضحايا من طرفي المحور والحلفاء على أرض مصر بواقع 32 ألف جندي (انظر الشكل التالي رقم 3)، وهو ما دفع الدول المشاركة في تلك المعارك إلى تشييد 15 مقبرة حربية في فترة ما بعد الحرب، تساوي 38% من إجمالي مقابر الحرب بكل شمال أفريقيا، وذلك لكي تضم تلك المقابر رفات الجنود الذين قضوا نحبهم على أرض مصر، ولقد كان نصيب قوات الكومنولث هو الأكبر بواقع 13 مقبرة حربية، فيما لم يزد نصيب القوات الألمانية والإيطالية عن مقبرتين فقط.

المواقع التراثية بساحل النورماندي

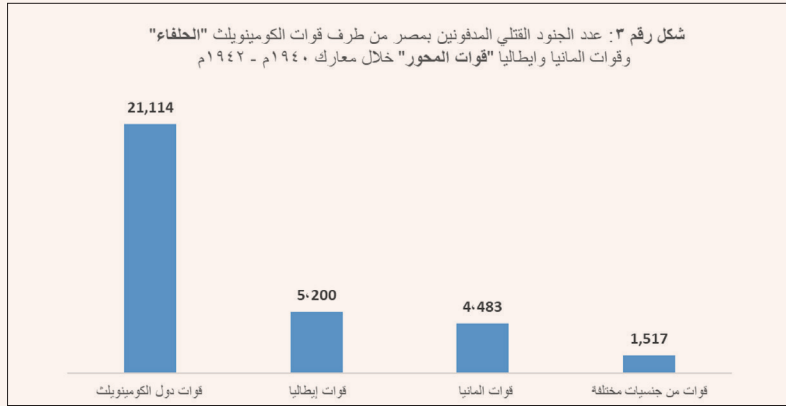
وقعت على شواطئ النورماندي الفرنسية في يوم 6 يونيو 1944، أشهر عملية إنزال عسكري في التاريخ وهي المعروفة باسم العملية D day، حيث تمكن الحلفاء في هذا اليوم من اقتحام الشواطئ الغربية لفرنسا المحتلة بقوة 150 ألف جندي، ولقد خلفت العملية من جانبي المحور والحلفاء ما يزيد على 425 ألف جندي بين قتل وجريح، كما فقد الجانب الفرنسي أثناء المعارك التي واكبت عملية الإنزال ما يزيد على 15 ألف مدني أعزل.

في أواخر السبعينيات من القرن الماضي، ارتأت الحكومة الفرنسية ضرورة تخليد ذكرى تلك العملية العسكرية التاريخية، من خلال إنشاء متحف تذكاري بمنطقة Bayeux الواقعة على خط الساحل، والتي تم تحريرها بالكامل في يوم 7 يونيو لتمثل بذلك أول نجاح عسكري لقوى الحلفاء على الأرض الأوروبية، كما قامت الحكومة الفرنسية أيضًا بالاهتمام بالآثار التي خلفها الجانبان على امتداد شواطئ يوتاه Utah، وأوماها Omaha، وجولد Gold، وجونو Juno، وسورد Sword، والتي يبلغ عددها الإجمالي 51 موقعًا أثريًا، تتنوع ما بين ملاجئ محصنة وبطاريات مدفعية خرسانية شيدها الألمان لتقوية دفاعاتهم الساحلية، وتجهيزات بحرية منقولة جلبها الأمريكيون معهم لتسهيل رسو السفن ونزول القوات البرية المقتحمة لخط الساحل.

وتحرص السلطات الفرنسية على استغلال هذا المقوم الأثري والتاريخي

فيما يُعتبر متحف كهف روميل بمدينة مرسى مطروح واحدًا من أصغر المتاحف في مصر، حيث لا يعدو كونه مغارة جبلية يأحى التلال المقابلة للبحر المتوسط، استخدمها القائد العسكري الألماني الفذ إروين روميل في زمن الحرب كمقر قيادة لقواته المتوجهة نحو العلمين عام 1942، ولقد تحولت المغارة في تسعينيات القرن الماضي إلى متحف كي يكون مصدرًا للجذب السياحي بالمدينة، وجرى دعم هذا المتحف بمجموعة من القطع الأثرية التي تنتمي للجيش النازي ولروميل شخصيًا، ومنها طبنجته الخاصة وخوذته الصحراوية ومعطفه الشتوي وبعض الخرائط التي وقعها أو عدلها بخط يده.

وبخلاف المقابر الحربية والمتاحف، تنتشر على طول الساحل الشمالي الغربي مجموعة من الشواهد التاريخية المتعلقة بالمعارك التي دارت رحاها على أرض مصر إبان الحرب العالمية الثانية، ومن بينها مبنى محطة سكك حديد العلمين القديم الذي استقبل كافة قطارات الدعم اللوجستي المتوجهة إلى جبهة قوات الكومنولث أثناء تصديها لهجوم قوات المحور القادمة من اتجاه الغرب، ويحمل هذا المبنى القديم لمحطة سكك حديد العلمين رمزية تاريخية وعاطفية لدى المواطنين في عدد من الدول الغربية مثل بريطانيا وأستراليا ونيوزيلندا، فالمئات من أبناء تلك الدول قُتلوا خلال تصديهم للطائرات الألمانية المغيرة على مبنى المحطة وخطوط السكك الحديدية القريبة منه، لذلك نجد قرية بمقاطعة هامشير في جنوب إنجلترا قد جرى تعديل اسمها في عام 1945م إلى Enham- Alamein، وذلك بعد أن تلقت كنيسة القرية الجرس



المصدر: حصر أجراه الباحث اعتمادًا على إحصاءات اللجان الأجنبية المختصة بإدارة مقابر الحرب العالمية الثانية في مصر.

ملاحظة: الجنود القتلى من الجنسيات الأخرى هم في أغلب الأحوال بولنديون ويونانيون ونرويجيون وهولنديون وتشيكوسلوفاك وفرنسيون وروس وكانوا جميعًا يحاربون تحت لواء قوات الكومنولث ودفنوا في مقابرها الحربية.

إلى جانب المقابر الحربية، تمتلك مصر متحفين مكرسين لعرض الآثار المنتمية لفترة معارك شمال أفريقيا، هما متحف العلمين العسكري بمدينة العلمين، ومتحف كهف روميل بمدينة مرسى مطروح. ويعد متحف العلمين هو المتحف الأكبر في مصر وشمال أفريقيا من حيث دوره ومهمته، حيث يقع المتحف على مساحة 18 ألف متر مربع، كما يحتوي على أكثر من 30 قطعة سلاح ثقيلة من مخلفات المعارك، بالإضافة إلى المئات من القطع الصغيرة كالأسلحة الخفيفة والوثائق والمعدات الشخصية التي استخدمها الجنود (انظر مجموعة الصور التالية)

مجموعة صور: بعض من مقتنيات متحف العلمين العسكري.



المصدر: الموقع الرسمي لوزارة الدفاع المصرية.

وتنتشر أيضًا في مختلف مواقع القتال، سواء بالعلمين أو فوكة أو مطروح أو سيدي براني أو السلوم أو غيرها، آلاف من الخنادق الحربية التي حفرها الجنود من الطرفين، ويقدر عدد تلك الخنادق في منطقة العلمين وحدها بأكثر من 25 ألف خندق، وذلك وفق إحدى الدراسات التي أجرتها جامعة بادوفا الإيطالية University of Padova، وتتميز أغلب تلك الخنادق بأنها في حالة شبه سليمة نظرًا لعدم وجود أي نشاطات بشرية قريبة منها (انظر الصور التالية).

مجموعة من خنادق الفرقة العسكرية الإيطالية فولجوري Folgore بالشق الجنوبي من العلمين.



المصدر: بحث بعنوان Geomorphology of the Alamein battlefield (Southren front, Egypt)، 2013

كيف يُمكن لمصر أن تستفيد من إرث معارك شمال أفريقيا؟

تعتبر جمهورية مصر العربية أكثر دول شمال أفريقيا غنى بإرث معارك الحرب العالمية الثانية، لذلك لا بد لمصر أن تفكر في استغلال تلك الميزة في تعزيز الحركة السياحية على أرضها، وذلك من خلال خلق نمط سياحي جديد يعرف باسم السياحة التاريخية العسكرية Historical military tourism، حيث يقوم هذا النمط على الاستفادة من كافة المقومات

القديم لمحطة سكك حديد العلمين كهدية من الشعب المصري (انظر مجموعة الصور التالية رقم 5). كما نجد أحد خطوط قطارات الضواحي في مدينة ملبورن الأسترالية قد سمي بخط سكك حديد العلمين، كما سميت آخر محطاته باسم محطة العلمين تيمناً باسم محطة العلمين المصرية، وذلك لتخليد مجهودات الجنود الأستراليين في الدفاع عن هذه المحطة.

جرس محطة العلمين الموجود حاليًا بكنيسة القديس جورج بقرية إينهام- العلمين



المصدر: شبكة بي بي سي الإخبارية البريطانية.

لكن بالرغم من ذلك يعاني مبنى محطة العلمين التاريخي من حالة شديدة من الخراب، فهناك أجزاء من أساساته قد انهارت بالفعل، كما بدأت جدرانه وأسقفه في التصدع والتساقط (انظر مجموعة الصور التالية رقم 6)، وتتسبب في تلك الحالة المزرية في عدم وجود عمليات صيانة للمبنى، بالإضافة إلى عدم إدراجه على قائمة الآثار أو المباني التراثية، وهو ما يضعه تحت خطر قرارات الهدم غير الواعية بقيمته التاريخية والتراثية. مجموعة صور حالة الخراب التي يعاني منها مبنى محطة العلمين التاريخي في الوقت الراهن.



المصدر: تصوير الباحث، سبتمبر 2019م. المصدر: تصوير الباحث، سبتمبر 2019م.



ومن المفيد من الناحية السياحية أن تحذو السلطات المصرية خطى نظيراتها الغربية في تنظيم الاحتفالات السنوية التي تواكب ذكرى المعارك والأحداث الهامة على الساحة الأفريقية، وفي مقدمتها معركة العلمين، وذلك كي تكون عاملاً لجذب السائحين بأعداد كبيرة إلى المقاصد السياحية المصرية بالساحل الشمالي، وهو ما سيعزز النشاط السياحي بالمدن الساحلية خاصة مدينة العلمين الجديدة، كما سيساعد ذلك على تعزيز اقتصاديات المجتمعات المحلية.

ويتوقع أن تساهم النهضة السياحية التي ستخلقها مجهودات الدولة المصرية في هذا الصدد، في المساعدة على القاء المزيد من الضوء على قضية حقوق الألغام في مصر، وهو ما سيجذب الرأي العام الغربي نحو نصره الدولة المصرية في المطالبة بحقوقها المشروع في الحصول على المساعدات الكافية لإزالة تلك الألغام.

ويمكن أيضًا تعزيز العرض المتحفي بهذه المؤسسة من خلال اقتناء نماذج أصلية لمختلف القطع العسكرية التي جرى استخدامها خلال معارك شمال أفريقيا، كما يمكن تدعيم المتحف في صورته الجديدة بالعديد من وسائل العرض التكنولوجي والمحاكاة التفاعلية، أسوة بالمتاحف العالمية المناظرة وذلك لتوفير تجربة ثقافية وترفيهية مميزة للزائرين، كما يمكن إضافة معهد علمي مختص بالدراسات التاريخية لمعارك الحرب العالمية الثانية في شمال أفريقيا إلى هذه المؤسسة وذلك لكي يكون لمتحف العلمين في صورته الجديدة دور علمي عالمي يضاهي أكبر متاحف العالم.

ومن المهم أن تقوم السلطات المصرية أيضًا بالاستفادة من العدد الكبير للخنادق العسكرية التراثية الموجودة في عمق الصحراء، وأيضًا مواقع السفن والغواصات الغارقة قبالة السواحل المصرية، من أجل تنظيم رحلات سفاري برية ورحلات غوص بحرية، وذلك لجذب شرائح السائحين المحبين للاستمتاع بأنواع جديدة من المغامرة والاستكشاف إلى جانب التثقيف العلمي.

المتوفرة والمتعلقة بمعارك الحرب العالمية الثانية في مصر، سواء من المتاحف أو المقابر الحربية وحتى مواقع الخنادق العسكرية التي حفرها الجنود إبان اندلاع المعارك.

لكن يجب ملاحظة أن الحالة القائمة لتلك المقومات تحتاج إلى الكثير من التطوير، وذلك كي يمكنها أن تنافس نظرائها على المستوى الدولي خاصة في أوروبا وأمريكا، ويجب أن تكون البداية من تطوير متحف العلمين العسكري، فالدولة المصرية يمكنها توضع خطة متكاملة لتحويله إلى مؤسسة ثقافية وعلمية دولية تهتم بدراسة مختلف الأحداث المرتبطة بمعارك شمال أفريقيا إلى جانب دوره التقليدي في عرض المقتنيات العسكرية للحرب العالمية الثانية، كما يمكن تحديث منظومة العرض المتحفي من خلال عمل معارض دورية مؤقتة تبرز حقائق جديدة وغير معروفة من قبل، عن أنشطة القوات العسكرية المختلفة التي شاركت في العمليات الحربية، سواء من الجيوش البرية أو الأساطيل البحرية وحتى القوات الجوية.